فضيلة الشيخ إن المجاهدين نظروا في كتاب الله فوجدوا قول الله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وعرفوا أن المقصود من الفتنة هو الكفر وذلك من قول الله تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)، ونظروا ما هي أعظم فتنة تصيب المسلمين وتصدهم عن دينهم فإذا بها تلك القوانين الوضعية التي حُكّمت في دين المسلمين ودمائهم وأعراضهم، فأبعدتهم عن شرع الله وهم قد تيقنوا بأن الله هو صاحب الحكم لا غيره لقوله (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) وقوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) وغيرها من الآيات التي ترد الحكم لله وحده، فإذا لم يكن الحكم كاملاً لله وحده فلا دين إذن (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) ، فقام المجاهدون لرد الحكم كاملاً لله وحده ليستقيم الإسلام للمسلمين، فأنكر عليهم من أنكر وقالوا هذا مفسدته أعظم وسيحدث هذا قتلاً للمسلمين، فردوا عليه بقولهم إن مفسدة الكفر والردة على المسلمين أعظم من مفسدة القتل والإبادة لقول الله تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)، ولو كانت الإبادة مقابل المطالبة بأن يكون الحكم لله فهذا هو الفوز الكبير كما وصف الله أصحاب الأخدود يوم أن رجحوا الموت على الكفر فقال عنهم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) ، فهذا هو دافع المجاهدين في رد الحكم لله وهذا فقههم.

ثم نظر المجاهدون يا فضيلة الشيخ إلى خارطة العالم فوجدوا أن المسلمين هم أذل أمة، والعدو يجتاح أرضهم ويقتل أبناءهم ويغتصب نساءهم، ويسومهم سوء العذاب وليس لهم أي قيمة ولا وزن، ونظروا في كتاب الله بحثاً عن الحل فوجدوا الحل والأمر بقوله تعالى (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) فقالوا سمعنا وأطعنا وهبوا للدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فلماذا يلامون لأنهم قالوا سمعنا وأطعنا ؟.

لقد تفتحت عيون المجاهدين على واقع أليم للأمة، فنظروا فلم يجدوا بلداً واحداً من بلدان المسلمين إلا وقد اجتاحه العدو الصائل ونزل فيه وتصرف بالعباد والبلاد، وهدد الضرورات الخمس للمسلمين، فبعض الأعداء في بعض البلدان يهدد الدين والنفس والعرض والمال والعقل، وبعض الأعداء متحضر لا يهدد إلا الدين والمال فقط، ونظروا فإذا بالفقهاء كابراً عن كابر يجمعون بأن الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة لم تأت إلا للمحافظة على هذه الضرورات، وكل ما هدد هذه الضرورات فواجب دفعه حتى لو زهقت الأنفس مقابل ذلك.

ثم نظر المجاهدون فضيلة الشيخ إلى حال الأمة الذليلة المستضعفة، ووجدوا العدو صال على بلادهم وداهمها وحل بها، ونظروا في كتب الفقه فوجدوا العلماء قد أجمعوا وبلا تردد على أن العدو إذا صال على بلاد المسلمين فقد وجب دفعه وأصبح الجهاد فرض عين وليس شيء أهم بعد الإيمان من دفع ذلك العدو الصائل، وهذا والذي قبله هو الذي أنكره فضيلتكم على الشهيد إن شاء الله الشيخ عبد الله عزام عندما قرره في كتبه، إلا أن المجاهدين لما سمعوا أن الجهاد قد تعين وصدع بهذا الحكم الشيخ عبد الله عزام، قال الشباب لبيك لبيك ربنا وسعديك، فباعوا الدنيا وتركوا الزوجات والأولاد والأموال وداسوا بأقدامهم على كل معاني الترف والرفاهية، وعانقوا النجوم بهامات لم يطأطئوها لكافر ولا مرتد.

فضيلة الشيخ إن المجاهدين قرأوا في القرآن قول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، وسألوا أنفسهم عن درجة إيمانهم فوجدوا بأنهم يزعمون الإيمان، فقالوا لقد مضى البيع إذن إن كانا مؤمنين حقاً، وصادقين بتمني الفوز العظيم.